مفهومُ القوةِ في القرآنِ الكريمِ

احمد حسين عبد جبار

أ.م.د. هدى عباس محسن الجميلي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

The concept of strength in the Holy Qur'an

Ahmad Hussein Abd Jabbar

Asst.Prof.Dr. Huda Abbas Al Jumaily

University of Karbala \ College of Islamic Sciences

Email: ah9031043@gmail.com

ملخص البحث

تناول هذا البحث مفهوم القوة في القرآن الكريم، ودلالته، وأنواعه، ونتائجه فيعد هذا الموضوع مهما ؛ لصلته بحياة البشر، حيث يتطلب من الفرد أن يمتلك القدرة ، التي تعد وسيلة من وسائل صنع الحياة، وتحقيق المبادئ الحقة فيها فالقوة نعمة من الله، فينبغي استعمالها في جلب الخيرات، وفي الدفاع عن المظلومين، ولا ينبغي استعمالها في المفاسد.

الكلمات المفتاحية : القوة، دلالاتها، أثرها.

Abstract

This research dealt with the concept of power in the Holy Qur'an، its significance، types، and results، so this topic is considered Whatever to human life، as it requires the individual to possess the ability، which is one of the means of making life، and realizing the true principles in it. Power is a blessing from God، so it should be used to bring good things، and to defend the oppressed، and it should not be used for evil.

Keywords: power, its implications, its effect.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد واله الطيبين الطاهرين .

وبعد إنّ مفهوم القوة من المفاهيم المهمة في حياة الفرد التي عنى بها الدين الاسلامي ، وأولى له عناية كبيرة ، إذ يحث الدين الاسلامي على استعمال القوى التي يمتلكها الانسان في مجالات الخير، لا في مجالات الشر والفساد، ويجب أنْ يكون ذلك ثابت في كل زمان ومكان، فلا يسمح الاسلام للأفراد أن يستعلموا تلك الطاقة فيما لا يريده الله، وأن يتسلح الفرد بجميع القوى النافعة التي يرتضيها الدين الإسلامي.

المطلب الأول: القوة في اللغة والاصطلاح:

ولكي يقف البحث لتوضيح مفهوم القوة، لابد لنا من التطرق إلى الآتي:

أولًا : القوة في اللغة:

لهذا المفهوم عدة تعريفات عند اهل اللغة ، فنقتصر على ما ذهب اليه ابن فارس الى أنّها:(تدلُّ على معنيين أحدُهما على شِدَّة وخِلافِ ضَعْف، والآخَر القَوَاءُ الأرض الخربة التي لا أهلَ بها، ويقال: أقْوَت الدّارُ أي خلت، فالقُوّة مأخوذة من المعنى الاول، وأصل ذلك من القُوَى جَمْعُ قوةٍ من قُوَى الحبل) .

ونرجح المعنى الأول فهو الأكثر استعمالًا في الذكر الحكيم ، والذي يفيد القوة والشدة، فعندما نتكلم عن قوة المخلوقات فبالتأكيد تكون قوتها متفاوتة ، وأما عند التحدث عن قوة الخالق ، فقوته سبحانه مطلقة غير محددة، فلا ريب في ذلك .

وأمّا بالنسبة للمعنى الثاني الذي يفيد الجوع والفقر، وقلة وفرة الخير أُستعمل مرة في كلمة المقوين في قوله تعالى: ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴾ .

وللقوة معان عدة كالشدة، والبطش، والاحكام، والقدرة والى تلك المعاني ذهب زين الدين الرازي وكذلك الفيروز ابادي

ثانيا: القوة في الاصطلاح:

عُرفت اصطلاحا بعدة إيضاحات فمنها: قال المناوي :(هي كمال صلابة الأعضاء لأداء الاعمال التي تراد منها) ، مما تقدم يكون معنى القوة هي استخدام الانسان لقدرته واستغلالها بجسده وعقله ، والوصول بهما إلى درجات الاتقان والإحسان في كل أقواله وأفعاله ، فالقوة البشرية تكون قابليتها محدودة، خلاف القدرة الإلهية التي تتصف بالمطلقة .

للقوة معان ودلالات متعددة في النص القرآني فمنها:

١ – القدرة عند الملائكة:

قال تعالى: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ فالمراد بالقوى جبريل ﷺ كما وصفه الله ، في قوله: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ، وقيل: المراد به هو الله سبحانه ، وذهب بعض المفسرين الى هذا الرأي، فالقوة لها دلالات متعددة فمن معانيها القدرة الجسمية ، والاحكام والاتمام ، والاخلاص وصدق النية ،وقوة العمل والدراسة.

٢ – العدة الحربية:

قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، ففي الحديث المرفوع الذي رواه عبدالله بن المغيرة عن الرسول ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في قول الله عزوجل " ومن رباط الخيل" قال الرمي" .

فجاء معنى القوة هنا هو أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بحسب إمكانيتهم أن يهيئوا آلات المعركة من سلاح وخيل وغير ذلك؛ لإرهاب العدو .

٣– القدرة الإلهية :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ ، "ولو يرى أولئك المشركون حين يشاهدون العذاب المعد لهم يوم القيامة أن

القدرة كلها لله وحده، وأن عذابه الذي يصيب به المتخبطين في ظلمات الشرك شديد، لو يعلمون ذلك، لرأوا ما لا يوصف من الهول والفظاعة، ولوقعوا فيما لا يكاد يوصف من الحسرة والندامة ، فجميع جنس القوة ثابت لله، وهو مبالغة في عدم الاعتداد بقوة غيره" .

٤- الإخلاص والنية وقوة إتمام العمل:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ ، أي خذوا التوراة بجد ويقين لا شك فيه، ونلحظ المعنى ذاته في قوله تعالى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ،أي تناولوا الكتاب بجد واستظهار مقرون بالتأييد والتوفيق الالهي ، والمراد بالقوّة هو الثبات والالتزام وعدم التهاون بالتعاليم الاسلامية، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ ، شَبَّهت هذه الآيةُ الذي يَحْلِفُ ، أو يعاهِدُ ويُبْرِمُ عَقْده ، بالمرأة تغزِلُ غزْلها وتفتِله مُحْكمًا ، ثم تنقُضُ قُوَى ذلك الغَزْلِ ، فتحلُّه بعد إبرامه ،فمعنى ذلك يا أيها الناس لا تنقضوا أيمانكم بعد توكيدها ، ولا تتخذوها وسيلةً للمكرِ والخداع ، وتنوون الغدر بمن عاقدتم وعاهدتم ، لأنكم اكثرُ وأقوى منهم فعليكم إتمام واحكام ما عاهدتم به .

٥- القوة البشرية والجد والعزيمة :

تدل مفردة القوة في هذا الموضع على الاجتهاد والجد ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ،اي احتاج للقوة الرجالية لا للمالية ، أي فأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ الأبدان، وعمل الأيدي ، وقال تعالى : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ،"فالآية تتضمن جواب الملأ لها يسمعونها أولا ما يطيب له نفسها ويسكن به قلقها، ثم يرجعون إليها الأمر يقولون طيبي نفسا، ولا تحزني فإن لنا من الشدة ما لا نهاب به العدو، وإن كان هو سليمان، ثم الأمر إليك مري بما شئت فنحن مطيعوك" .

المطلب الثالث :الالفاظ ذات العلاقة بالقوة في القرآن الكريم:

جاءت في الكتاب العزيز الفاظ ذات صلة بمعنى القوة ، وفيما يأتي نذكر الاهم منها:

١- البطش والسطو :

البَطْش التناول بشدة عند الصَّوْلة والسَّطْوة، والبَطْشُ الأَخذ القويّ الشديد ،وبطش بالشيء أمسكه بقوة قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ، واصطلاحا: هو أخذ الشيء بشدة وعنف .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ ، أي يأخذون بأيديهم بشدة ما يريدون الانتقام منه.

وأما السَّطو: معناه شدّة البطش أي البَسْط على النّاس بقَهرِهم من فوق ، قال تعالى: ﴿ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ ، فذهب العلامة الطباطبائي قدس سره ، والشيخ مكارم الشيرازي قدس سره الى بيان قوله تعالى إن الذين كفروا عندما تتلى آيات الله عليهم ، فترى في وجوههم اثر الانكار وكأنّهم يريدون أن يهاجموا الذين يتلون عليهم آيات الله – عزوجل– وضربهم بقبضات أيديهم ،فيقربون من البطش بهم ؛ وذلك تنفيساً عن التكبّر والغيظ البغيض الموجود في أنفسهم .

٢- المكين :

أي القوي المتمكن فهو ذو المكانة والقوة عند الله ،قال تعالى: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ، فذهب مغنية الى أن المراد بالآية أنّه لجبريل عليه السلام متانة وصلابة في نفسه، و كرامة و مكانة، عند الله سبحانه .

٣- الصلد:

أي الحجر الصلب الأملس الشديد الذي لا يتفتت ولا ينبت فيه شيء ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا

كَسَبُوا وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ ،فمثَّل الباري عمل المنان والمنافق بالصفوان ، الذي أزال المطر ما عليه من التراب فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه ،كذلك إذا دفع المنان صدقة وكانت مقترنة بالمن ، فقد أوقعها على الوجه الذي لا يستحق عليه الثواب .

٤- القسوة:

فالقَسْوَةُ الصَّلابةُ في كل شيء، كالأَرض القاسيةُ التي لا تُنبت شيئًا ،والقسوة في القلب اي ذهاب الخشوع واللين والرحمة منه ، وفي الاصطلاح: القَسْوَةُ: "غلظ القلب" ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، أي أصاب قلوبكم ، الجفاء والغلظة، فأصبحت كالحجارة أو أكثر؛ لأنّ من الحجر ما يترشح منه الماء، فيأتي بالخيرات

٥- الاستطاعة:

الاستطاعة هي الطاقة، والقُدرَةُ على الشَّيءِ ، واصطلاحا: "هي عرض يخلقه الله تعالى في الحيوان، يفعل به الأفعال الاختيارية، والاستطاعة ،والقدرة والقوة، والوسع، والطاقة، متقاربة في المعنى في اللغة، وأما في عرف المتكلمين فهي عبارة عن صفة بها يتمكن الحيوان من الفعل والترك" .

٦- البأس:

الشدة في الحرب، بَؤُسَ الرجل بالضم يَبْؤُسُ بَأْسًا، إذا كان شديد البَأْسِ. فهو بَئيسٌ، أي شجاعٌ ، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ ، أي فيه قوة ومنعة لدفع شرور المعتدين الذين يخالفون النظام والميزان .

٧- الشوكة:

فتعني الشدّة، وترمز إلى القدرة ، فأصلها مأخوذ من الشوك، ثمّ استعملت هذه المفردة في نصل الرمح ، وعندما كان السلاح يمثل القدرة والشدّة والقوّة ، فقد عُبر عنه بالشوكة ، كما في قوله تعالى :﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ ، يلاحظ في الآية الكريمة،

أنّ التعبير جاء بذات الشوكة مكان الجيش والنفير، وبغير ذات الشوكة مكان القافلة أو العِير" .

٨- المتين:

المَتْنُ من كل شيء ما صَلُبَ ظَهْرُه، يقال حبل متين ورأي متين، والمتين في أسماء الله عزوجل ذو الشدة والقوة والاقتدار ، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْـمَتِينُ ﴾ ، فمعناه ذو الاقتدار والشِّدَّة، فهو القوي الذي لا يلحقه في أفعاله تعب ولا كلفة ولا مشقة.

٩- العزة:

العِزّة هي الرفعة، والغلبة ،والشدة والامتناع ، فيُمدَح بها تارةً ، ويُذَمُّ بها أخرى كعِزَّة الكُفّار قال تعالى :﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ ، ووَجهُ ذلك أنّ العِزَّة لله ولرسوله وهي الحقيقية الباقية ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْـمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلله الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْـمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١٠- الأيد:

الايد بمعنى القوة ، قال تعالى:﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي ذا قوة، وقال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَـمُوسِعُونَ ﴾ ،أي بقوة وقدرة وأحكام، هذه أبرز الالفاظ القريبة ، أو ذات الصلة في دلالاتها من معنى القوة الذي وقف عليها البحث، فكانت معانيها الاصطلاحية قريبة من المعنى اللغوي.

١١- الغلظة :

"الغِلَظُ ضِدُّ الرِّقّةِ فِي الخَلْق والطبْعِ والفِعْل والمَنْطِق والعيْش وَنَحْوِ ذَلِكَ" ، فالغلظ معناه الشدة، والغليظ: هو الذي يستعمل الشدة ،والقسوة في المعاملة ،واستعمال الخشونة في الفعل ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْـمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْـمَصِيرُ ﴾ ، إذ تأمر الآية الرسول الأكرم ﷺ بوجوب مقاتلة الكفار، مع التغليظ والتشديد على المنافقين، من غير تصادم عسكري معهم، ما داموا لم

يحملوا السلاح ضد الإسلام وذلك بسبب أنهم مسلمون في الظاهر .

١٢- اليمين :

معناه الاخذ بالقوة والقدرة ، كما في قوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ،"لأخذنا من يده اليمنى ولعاقبناه وجازيناه وكلمة " اليمين " هنا كناية عن القدرة ،وذلك بلحاظ أن الإنسان الذي ينجز أعمالا معينة بيده اليمنى يتمتع بقدرة وقوة أفضل: .

١٣- القهر:

"معناه الغَلَبة والأَخذ مِنْ فَوْقَ والقَهَّارُ مِنْ صِفَاتِ اللهَّ عزوجل ، وَاللهُ القاهرُ القَهّار، قَهَرَ خَلْقَه بِسُلْطَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وصَرَّفهم عَلَى مَا أَراد طَوْعًا وَكَرْهًا، والقَهَّار لِلْمُبَالَغَةِ" .

واصطلاحا: هو الغالب جميع الخلق الذي لا يعادله و لا يقاومه غيره

١٤- القدرة:

"القَدِيرُ والقادِرُ من صفات الله عزوجل يكونان من القُدْرَة ويكونان من التقدير" وقوله تعالى:﴿ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فالله عزوجل على كل شيء قدير والله سبحانه مُقَدِّرُ كُلِّ شيء وقاضيه ، وفي الاصطلاح : "هي الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة ، وصفة تؤثر على قوة الإرادة" .

١٥- الثقل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ ، "من له قدرٌ وخطرٌ. يقال: ثَقَلْت الشيء: إذا وازنته، وقيل: إنّ معناه أنّ أوامر الله ونواهيه وفرائضه لا يؤديها أحدٌ إلا بتكلفٍ" .

وذهب صاحب تفسير البرهان الى بيان معنى هذه الآية بقيام الليل .

فقيام الليل والصلاة فيه يحتاج الى القوة والصبر؛" لتلقي ثقل ما سيلقى عليه من القول الثقيل والقرآن الموحي إليه" .

١٦- الشدة:

قال صاحب معجم مقاييس اللغة: "الشين والدال أصلٌ واحدٌ يدلُّ على قوةٍ في الشيءِ، وفُروعُه ترجِع إليه من ذلك شَدَدْتُ العقد شَدّاً أشُدُّه. والشَّدّة: المرّة الواحدة" ، قال تعالى: ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ، اي أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون ليقوي به ظهره.

وفي الاصطلاح : الشدَّة، بِالْكَسْرِ "اسْم من الاشتداد، وبالفتح، الحملة فِي الْحَرْب " .

المطلب الرابع: أنواع القوة في الكتاب العزيز:

١- القوة المالية:

للاقتصاد دور مؤثر وفاعل في حياة الشعوب، فكلما كانت تمتلك الدولة اقتصادا جيدًا، فسوف يزيد من قوتها ومركزها بين الدول، بل تكون هي المتحكمة في اقتصاديات باقي الدول الأخرى، وفي نفس الوقت تكون معتمدة على نفسها لا على الاخرين، ومن اهم المحاور التي يبحث عنها في هذا المطلب هي:

أولاً : أهمية المال:

ينظر الإسلام الى المال على أنّه قوام الحياة ، فلا يستغني عنه أحد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ، أي يعتني الإسلام عناية كبيرة بالشؤون المالية والاقتصادية، والتي لا يستطيع أي مجتمع العيش من غيرها، فينبغي الحفاظ عليها فلا يعطى المال بيد المسرفين؛ لأنه ليست لهم معرفة بإنفاقه، فسيلحق ضررًا ليس خاصًا بهم بل يعم المجتمع أجمع .

فيطلق السفه على الفرد الذي يصرف المال لملذاته الخاصة لا يعبأ بأوضاع المجتمع، وعلى المفسد الذي يحتكر التجارة لنفسه، وكذلك المترف الذي يشجع المنكرات كالمخدرات والبغاء، فينبغي أن يحجر على أموالهم ولا تعاد اليهم الا بعد تهيئتهم نفسيا ، وتوجيههم على الأفكار التجارية الصائبة التي تصب في خدمة مجتمعهم .

وقال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ، تُشير الآية إلى أهم قسمين في الحياة

هما القوّة الاقتصادية ، والقوّة الإنسانية ، فإذا لم تستثمر في طريق المسير إلى الله فلا يُكتب لها الخلود، ولا يكون لها أدنى اعتبار .

ثانيا: العمل على تحصيل الثروة :

ولأهمية المال يجب على الفرد أن يعمل في تحصيله قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور ﴾ ،أي جعلنا لكم الارض سهلة منبسطة لينة، فاسعوا في طلب الرزق، واشكروا الله، ولا تكفروا به وبنعمه ، وَاعلموا إنكم اليه راجعون فلا مقصد إلا اليه فيسألكم عما كنتم تعملون .

وأن يكون تداول الأموال بين الجميع، ولا يقتصر على فئة معينة ، كما في قوله تعالى: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُم ﴾ ، فتشير الآية الى أن لا يتداول المال بين فئة معينة من الناس فيستأثر به الأغنياء دون الفقراء ؛ لأنه يؤدي الى خلل اقتصادي وأخلاقي واجتماعي ، وهذا ما يقف ضده الإسلام ولا يقبله؛ لما فيه هدم مصالح الامة ومنافعها .

ثالثًا : شروط الحصول على المال:

فينبغي على المسلمين أن يحافظوا على ثرواتهم الاقتصادية ؛وذلك عبر تنفيذ الأنظمة التي أقرها الإسلام في مقارعة كل ما يضر بالأمن الغذائي للمواطن، ومن هذه الضوابط:

١- تحريم السرقة:

كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، فالغرض من هذه العقوبة التي نصت عليها الآية، هو لتحقيق العدالة، ووقاية المجتمعات من السرقات، ولكن هذا العقاب غير مستمر، فيزول بتوبة الانسان، والابتعاد عن معصية الله، وبالرجوع الى طاعة المولى ، وجاء في الحديث عن الرسول ﷺ " لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" .

٢- تحريم الربا:

حرم الإسلام التعامل بالربا؛ لما فيه هدم روح التعاون، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ، تشير الآية الى ترك ما بقي من الربا، والاقتصار على رأس المال ، ومَنْ أصر عليه فيعد محاربا لله والرسول، كما جاءت آيات اخرى تؤكد على حرمته؛ لشناعته وفتكه بثروات البلدان وتبديدها .

وقال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ ، حيث تبين الآية أنّ المرابي يغالط ، وهو يدافع عن نظامه الاقتصادي فيقول : إن البيع – وهو التجارة – تنشأ عنها زيادة في الأموال وربح ،فهو مثل الربا ،فلا معنى لإحلال البيع وتحريم الربا ، أي أن البيع يحقق فائدة وربحًا ، كما أن الربا يحقق فائدة وربحًا.

فهذه شبهة واهية، فالعمليات التجارية قابلة للربح والخسارة، والمهارة الشخصية، والجهد الشخصي، والظروف الطبيعية الجارية في الحياة، هي التي تتحكم في الربح والخسارة، أما العمليات الربوية فهي محددة الربح في كل حالة ،وهذا هو الفارق الرئيسي ، وهذا هو مناط التحريم والتحليل .

٣- تحريم التلاعب بالموازين:

قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ① الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ② وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ③ الَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ④ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وعد الله عزوجل المطففين الذين يأخذون البضاعة كاملة في حالة الشراء، ويعطونها ناقصة للناس في حالة البيع- بالعذاب في الاخرة وسينالون جزاؤهم العادل أمام الناس .

٤- تحريم أكل أموال الناس بالباطل:

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾ تشمل الآية جميع العقود المعاملاتية ، حيث تنهى عن أكل أموال الناس بالحرام كالسرقة والربا والخيانة والقمار والغصب، وتستثني المعاملات التجارية التي تتم عن توافق بين المشتري والبائع .

فأكل ثروات الناس بالباطل يجلب اليهم الضرر ويسبب خللا في حفظ النظام.

رابعًا: الإدارة الناجحة والخبرة الكافية:

إنّ حفظ الثروات وزيادتها وتوزيعها بالشكل العادل على أفراد المجتمع، وكذلك الخروج من الأزمات والمشاكل الاقتصادية يتطلب الخبرة والأمانة ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ ، بعد أن فسرت الرؤيا بأنّ هنالك أزمة اقتصادية سوف تحصل في مصر، وستلقي بثقلها على الفقراء والمستضعفين قبل اغنيائها، فطلب الملك من النبي يوسف ﷺ أن يتصدّى اليها؛ لأنه الوحيد القادر على معالجتها.

فأختار ﷺ منصب الامين على خزائن مصر؛ لمعرفته بأسرار المهنة، ولعلمه بعجز الاجهزة الحاكمة آنذاك عن حلحلة المشاكل الاقتصادية، ولعلمه بالوجوه التي ينبغي أن تصرف فيها الأموال ، ومعرفة مستحقيها .

وفي مفاتيح الغيب:" لَمَّا عبر يوسف ﷺ رؤيا الْملك بين يديه قَالَ لَهُ الملك: فَمَا ترى أَيُّهَا الصِّدِّيق قَالَ: أَرى أَنْ تَزرع فِي هذه السنِين الْمُخْصِبَةِ زرعًا كَثِيرا وَتبنِي الْخزائن وتجمع فِيهَا الطَّعام فَإِذَا جاءتِ السُّنُونَ الْمُجْدِبَةُ بِعْنَا الْغلَّات فَيَحْصل بهذا الطَّرِيق مَال عظيم فَقَال الْملك وَمَنْ لِي بِهَذَا الشُّغْلِ فَقَال: النبي يوسف ﷺ اجعلني على خزائن أرض مصر" .

ونستخلص من ذلك أن المجتمعات التي تتمتع باقتصاد معتدل متميز، يسهم في زيادة قوتها، واعتمادها على نفسها، ويجعلها في مراكز متقدمة بين الشعوب، فالقوة الاقتصادية هي عصب الحياة.

٢- القوة الجهادية:

مما لا شك فيه أنّ قاعدة الدين الإسلامي الأساسية هي السلام، ولكن للجهاد أهمية كبيرة في حياة المسلمين فهو صمام امان لهم، وبغيابه ستكون الامة الإسلامية عرضة لمطامع الأعداء، فالذين يتهمون الدين الاسلامي بأنه دين القتل والسيف، فعليهم أن يعرفوا، " إنَّ

المسلمين لم يحاربوا في صدر الدعوة إلا مدافعين ، أو دافعين لمن يصدون الدعوة بالموعظة الحسنة من ذوي السلطان، وكذلك كانت وقائعهم مع مشركي الجزيرة العربية كما كانت وقائعهم مع الفرس والروم" ، ويمكن تقسيم المطلب الى فقرتين:

أولاً: التعايش السلمي:

يدعو الإسلام الى السلام والمحبة والتعايش السلمي مع الاخرين الذين ينهجون طريق الاعتدال والحياد، فهو دين الإقناع بالدليل والبرهان، وقاعدته الأساسية هي السلام، وهذا ما صرح به الكتاب المنير في الكثير من نصوصه الشريفة .

فأكد القرآن الكريم على مبدأ الحوار، إذ قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ،حيث تأمر الآية الكريمة بأن تكون دعوة العقول الى دين الله مقرونة بالعلم والمنطق ،وبتليين القلوب، وبمناظرتها بأحسن الحجج ؛ لازالة الشبهات العالقة فيها، ولكي تكون مستعدة لتلقي الحق ، كما اكد الذكر الحكيم على مبدأ السلام في آياته ،إذ قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ،أي إذا مالوا إلى الصلح، وأقبلوا للسلام فأستجب لذلك لتُعرِّفهم بأن الحرب في الإسلام لا تنطلق من عقدة، بل من قاعدة فكرية على مستوى مصلحة الإنسان والحياة .

فينبغي مواجهة السلم بالسلم، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ ،وقوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ ،وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ والى غيرها من الآيات، وعلى هذا المعنى أكدت الأحاديث النبوية كما جاء في الحديث عن الرسول ﷺ قال: " تعافوا تسقط الضغائن بينكم"، وقال ﷺ "إن الله تعالى بعثني هدى ورحمة للعالمين...."

ثانيا: الجهاد:

ذكرت لفظة الجهاد في الكتاب العزيز ما يقارب خمس وثلاثين مرة، وأمّا كلمة الحرب وردت أربع مرات فجاءت بمعنى استعمال السلاح والقتال، وأمّا كلمة الغزو لم ترد الا مرة واحدة ، والجهاد هو: بذل الطاقة وتحمل المشقة .

وشرعًا: هو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الاسلام وإقامة شعائر الايمان .

فمصداق الجهاد هو القتال في سبيل الله، إلا أنّ الجهاد أشمل من القتال، فهو شامل للدين أجمعه، نعم قاعدة الإسلام هي التعايش السلمي ،ولكن دعوته الى الجهاد هي نفسها الحياة ولولاه لا يتمكَّن هذا الدين من العيش في هذا العالم المليء بالظالمين والأعداء، فكان من الطبيعي أن يحتاج أتباعه الى امتلاك القوة التي يدافعون بها عن أنفسهم، وعقيدتهم، وعن المستضعفين؛ ولهذا تم تشريع الجهاد، فمشروعية الجهاد لا يمكن أن تتنافى مع مبادئ التعايش السلمي كما يروج له الخصوم على أنه مبدأ عدواني فيه مساس بالحريات الإنسانية ومصادرة إرادة الإنسان .

فالقرآن مثلما رسخ مبادئ السلم، أيضا لم يغفل عن الجهاد في سبيل الله فهو يرى ضرورة أن يكون المسلم قويا ؛ حتى لا يطمع فيه الأعداء فتحقيق السلام لا بد له من وجود قوة كافية للحفاظ عليه، ولهذا أمر الله المسلمين بالاستعداد حتى لا يؤخذوا على غفلة، إذ قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَ عَدُوَّكُمْ ﴾، فتأمر الآية المسلمين بالاستعداد من حيث العدة والعدد واتخاذ جميع المستلزمات اللازمة لردع هجمات الأعداء علما بأن القوة ليست مختصة بالجانب العسكري فحسب، بل تشمل الجوانب الاجتماعية والاقتصادية .

فالطريق إلى السلام القائم على العدالة والإنسانية والحق هو امتلاك قوة الردع لا الهجوم وشتان ما بين الأعداء والإسلام في استعمال القوة ، فنرى العدو يستعملها من أجل السيطرة والتوسع والنفوذ، بينما يمتلكها المسلم لأجل الدفاع عن نفسه، إذ قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ

عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾، تبيّن الآية المباركة " حكما من الأحكام الاجتماعية الواقع في النوع الإنساني، كما تذكر وجها من وجوه الحكمة في مشروعية القتال والجهاد مع أعداء الله تعالى، والمعنى: ولولا دفع الله أهل البغي والشر والظلم بأهل الصّلاح والإيمان لعمّ الطغيان والفساد الأرض وأهلها، ويفسد المجتمع الإنساني باستيلاء أهل الشرور والآثام" .

فيتبين مما تقدم ينبغي أن يتسلح المسلم بجميع القوى العلمية والإعلامية ، والاقتصادية والعسكرية وغيرها ، لكي يبقى المجتمع الإسلامي قويا متماسكا امام التحديات.

٣- القوة الأخلاقية:

إنَّ الاخلاق ليست جزءا من الدين بل هي روحه وجوهره فالمتدبِّر للقرآن الكريم يجد أنه يحث على الأخلاق الحميدة، وعلى تصفية الرُّوح، من كلِّ الشوائب التي تعيق مسيرها إلى الله تعالى، فالرسول الهادي، والمعلم الراشد للأمَّة كان على خلقٍ عظيمٍ؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، وقال ﷺ" أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا" ، وروي أن رسول الله ﷺ قال : " انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" .

فالقوة الخلقية تنمي لدى الفرد روح الخير، وتغلق لديه روح الشر فيستقبح كل قبيح ويستحسن كل حسن، إذ قال: رسول الله ﷺ " إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ" .

فإنّ الايمان بالله تعالى القوي القادر، يمنع الفرد من أن يستسلم لعوامله النفسية المريضة، التي تجعل منه متسلطا على الاخرين بقوته؛ لأنه يشعر بان قدرته لا شيء أمام قوة الله المطلقة ، فيخشع أمامها، ويمتنع عن ممارسة العدوان على الناس.

فالهدف الإسلامي من القوة، غير الهدف الإنساني الذي يهدف الى الاستعراض وتأكيد الذات والتباهي في المجتمع ،وقد جاءت الآيات الكريمة بتعرية الذين يتباهون بقوتهم أمام الآخرين ،قال تعالى:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ

طُولًا ﴾ ، "أي: بطرا وعجبا بالخيلاء والتّيه والفخر والتّرفّع والكبر" ، وقال تعالى:﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، فيشير القرآن الكريم الى صفتين مذمومتين وهما التكبر والغرور فينبغي على الانسان أن يبتعد عنهما؛ لان الله لا يحب كل من تأخذه الخيلاء- وهو التكبر بتخيل الفضيلة- ويكثر من الفخر ، فالإسلام يريد من الانسان أن يستخدم قوته في ضوء ما يريده الله لا وفق ما تريد أهوائه.

فلم يبتعد الدين الإسلامي عن روحيته واخلاقياته في جهاده مع أعدائه وهذا ما عمله الرسول ﷺ ووصيَّه الإمام علي عليه السلام في غزواتهما مع الأعداء، وقد جاء في الحديث عن الأمام علي عليه السلام أنه قال : "نهى رسول الله ﷺ أن يلقى السم في بلاد المشركين" ، وقال ﷺ "...ولا تمثلوا ولا تقطعوا شجرة إلا أن تضطروا إليها، ولا تقتلوا شيخا ولا صبيا ولا امرأة..." .

فالتعليمات النبوية، تريد من المقاتل أن يبقى منسجما مع القيم الأخلاقية الإنسانية في السلم والحرب، فعلاقة الفرد بالقيم ليست وليدة الظروف، بل هي علاقة ثابتة تقتضيها الحياة، ويفرضها الإيمان، فمن واجب المسلمين أن يعملوا على الاستجابة لضوابط الإسلام في حالتي الحرب والسلم ،قال تعالى:﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ .

فيفهم من الآيات الكريمات أن يتقيد المؤمنين بما يراه الإسلام فليلتزمو بأوامر الرسول ﷺ ونواهيه في كل المجالات، ويتبين مما تقدم، هنالك علاقة وثيقة بين الاخلاق والقوة فإحداهما مكمل للآخر.

المطلب الخامس: آثار القوة في الاحسان:

إنَّ استخدام القوة في مجالات الخير له آثار محمودة تجعل من المجتمعات متماسكة متعاونة، قادرة على تفادي المشاكل، وتكون محط احترام من قبل الاخرين، وفوق كل ذلك تنال رضا الله عزوجل، ومن هذه الآثار:

أولًا: المحافظة على الدين الإسلامي وحماية الامة من العدو:

إنّ أي أمّة من الأمم لا تستغني عن القوة ، بل تعدها سورا لها ، وهذا ما يؤكده التأريخ، ومن هنا ينبغي أن تتميز الأمة الإسلامية بالقوة، لحماية أفرادها من الأعداء في الداخل والخارج ، إذ أكد القرآن الكريم على هذا الأمر في قوله تعالى :﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، تبين الآية لزوم الاستعداد العسكري والمرابطة؛ لمواجهة الأعداء، وفي مفهوم القوة أقوال منها: قوة الرمي، واتفاق الكلمة والثقة بالله تعالى ، وقيل أنّ المراد منها السيف والدرع، وقيل كل أنواع السلاح، وبناءً على ذلك فلا ينبغي حصر القوة في مصداق واحد، والغفلة عن بقية القوى والقدرات الاقتصادية و الثقافية والسياسية ، فالهدف من هذا الإعداد ليس لتدمير الامم واستعمارها، بل اخافتهم والحد من تجاوزهم .

فالمسلم مكلف أن يكون قوي، وأن يحشد ما يستطيع من أسباب القوة ؛ ليكون مرهوب في الأرض و لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله ؛ لأنّ إظهار الغلظة يلقي الرعب والرهبة في قلوب أعداء الله الذين هم أعداء العصبة المسلمة في الأرض، الظاهرين منهم الذين يعلمهم المسلمون، ومن وراءهم ممن لا يعرفونهم، أو لم يجهروا لهم بالعداوة، وهؤلاء ترهبهم قوة الإسلام ، ولو لم تمتد بالفعل إليهم ، "وأعدُّوا يا معشر المسلمين – لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه مِن عدد وعدة، لتُدْخلوا بذلك الرهبة في قلوب أعداء الله وأعدائكم المتربصين بكم، وتخيفوا آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، لكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه، وما تبذلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلا ، أو كثيرًا يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، وأنتم لا تُنْقصون من أجر ذلك شيئًا" ، وذهب محمد رشيد الى أنَّ أَعْدَاءِ المسلمين ليسوا هم فقط الذين خرجوا أثناء الدعوة من المنافقين واليهود وكفار قريش، وإنّما سيظهر أعداء آخرين "وأخرين من دونهم لا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ" ، وقد ظهر عداوة الرُّومِ، والفرسَ، وقتالهم ضد المسلمين

وغيرهم، والى الآن مستمرة محاولات الأعداء لتضعيف الإسلام ، فينبغي على المسلمين مجاهدة الأعداء ودفع أذاهم، قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ ، فجاءت هذه الآية لتبين إذن الله لعباده بدفع الكفار؛ لكي لا تكون الغلبة لأولئك المجرمين، وأوضحت إنَّ إهمال التكليف الإلهي سيؤدي بالمسلمين الى الإذلال بالدنيا فضلا عن الآخرة، وذهب الصابوني الى أن الله لولا أن يدفع شرّ الفاسقين بجهاد المؤمنين لفسدت الحياة؛ لأنّ الشر إذا تغلّب كان الدمار، وَلكِنَّ اللهَ ذو إنعام وتفضل على البشر حيث لم يمكّن للشر والفساد من الاستعلاء ، وقد جاء في تفسير الأمثل إنَّ الله سبحانه وتعالى رحيم بالعباد ، يمنع من سراية الفساد إلى المجتمعات البشرية، فسنتّه تعالى قائمة على الاختيار والإرادة والحريّة ، فالإنسان حرّ في اختيار طرق الخير أو الشر، ولكن عندما تتعرّض المجتمعات إلى الفساد والضياع، بسبب الطغاة ، فيبعث سبحانه من عباده الأخيار من يقف أمام طغيان الطواغيت ويكسر شوكتهم، وهذا من لطف الله تعالى على عباده ، وقد جاء في زبدة التفاسير" ولولا أنّ الله يدفع بعض الناس ببعض، بأن ينصر المسلمين على الكفّار ويكفّ بهم فسادهم لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ بشؤمهم و بطلت منافعها، أو لغلب المفسدون وأفسدوا في الأرض، وقيل: ولولا أنّ الله ينصر المسلمين على الكفّار لعمّ الكفر ونزل العذاب، واستؤصل أهل الأرض" .

فالمولى عزوجل لا يقبل للجور والفساد أن يتغطرس في المعمورة؛ لأن في ذلك نشر للظلم، فكانت القوة لردع المعتدين وتأديبهم، وذلك يصب في مصلحة الأمة وصلاحها، إذ قال تعالى: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، فمفهوم الآية يشمل دائرة واسعة ولا ينحصر بمسألة القصاص في مقابل القتل أو الجنايات الاخرى، بل يشمل حتّى الأمور الماليّة وسائر الحقوق الاخرى، ثم ندبهم إلى ملازمة طريقة الاحتياط في الاعتداء، وعدم تجاوز الحدّ في ذلك؛ لأنّه يبعد المواجهة عن إطار التقوى، ولا يهمل الله المتقين في خضمّ المشكلات، بل يعينهم و يرعاهم .

وقال تعالى :﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ

بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِير ﴾ ، ففي هذه الآية أمر للمسلمين في قتال المشركين ، وأخذهم بالضراء والبأساء؛ لكي تضعف قوتهم ، وتنكسر شوكتهم ، فلا تكون لهم القوة على الوقوف في سبيل الله ، ولا تكون لهم اليد على المؤمنين، وحتى يكون الدين كله لله، لا شريك له ٠

ثانيا: ترابط المجتمعات الإسلامية:

يحثّ الشارع المقدس على وحدة المؤمنين، وعلى الصلاح بينهم في الأعراض والدماء والأموال، والإبتعاد عن الفرقة والنزاع، قال تعالى:﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ، أي تمسكوا به ، وقيل امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال، أولها: القرآن ، وقيل: أنه دين الله الإسلام وقيل: أهل البيت عليهم السلام والأولى حمله على الجميع ، والذي يؤيده ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ "أنه قال أيها الناس إني قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألّا و إنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض" .

"واعلم أن حديث العترة المتواتر، الذي لا ريب في صحته عند الفريقين يدل على أن العترة الهادية أفضل الناس وخيرهم بعد النبي ﷺ، واحتياج جميع الناس إليهم، واستغنائهم عن جميعهم، وعصمتهم وعلمهم بالكتاب كله، وخلافتهم عن الله ورسوله، وانحصار الإمامة فيهم، والاهتداء بالتمسك بذيلهم، وعدم خلو الأرض منهم إلى يوم القيامة" ،وفي تفسير تأويل الآيات الظاهرة ، وَاعْتَصِمُوا بحبل الله، التزموا بِكتاب الله العزيز، والعترة الطاهرة وهم أهل بيت النبي ﷺ من دون التفريق بينهما .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ، تؤكد هذه الآية على مبدأ الأخوة الإيمانية بين المؤمنين، وعلى التراحم والتواصل، لا القطيعة والنزاع، ولا العداوة، والتباغض .

فهي ذو شعار عميق، بليغ، مؤثر وذو معنى غزير، ويرى الإسلام إنّ المسلمين جميعًا بحكم الأسرة الواحدة أينما وجدوا، سواء عاش بعضهم في الشرق، والآخر في الغرب،

فرفع الدين الإسلامي من مستوى الارتباط والحب بين المؤمنين الى درجة الإخوة ، ولا يريد من هذه الرابطة شعارًا، بل يريدها تتجسد في الواقع ، وورد عن الامام الصادق عليه السلام أنَّه قال: "المؤمن اخو المؤمن، عينه ودليله ،لا يخونه ، ولا يظلمه ،ولا يغشه ،ولا يعده عدة فيخلفه" .

فالتماسك الاجتماعي يساعد المجتمع على تحقيق النصر في جميع المستويات، ويكسبه الحصانة ضد الأخطار التي تتربص به في الداخل والخارج ، وَحَذَرَنا الباري من الصراع وما يؤدي إليه، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، فالنزاع، والفرقة، وعدم التماسك امام الأعداء، بلا شك يؤدي إلى الضعف وخور العزيمة، وبالتالي تذهب هيبة المسلمين، وقوتهم وعظمتهم .

ومن الأعمال التي تحتاج الى تماسك المجتمع في محاربتها، والوقوف أمامها بكل أشكالها، هي محاربة الجرائم ،إذ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ،"فمحاربة الجريمة ،وتطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض" .

فالوقوف أمام الجرائم، والمنكرات، حالة صحية تتطلبها الحياة، "وإلا فشت الضلالة، وشاعت الجهالة ،واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد" ، فنحتاج الى استعمال القوة في تغيير المنكر ، حيث قال النبي صلى الله عليه وآله : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه ذلك أضعف الإيمان" ، وتغيير المنكرات، سمة من سمات الأفراد المصلحة، إذ قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ ، فتبين الآية إن من صفة أنصار الله، أنهم إن تمكنوا في الأرض، وأعطوا الحرية في اختيار ما يستحبونه من نحو الحياة، عقدوا مجتمعا صالحا، تقام فيه الصلاة، وتؤتى الزكاة، ويؤمر

فيه بالمعروف، وينهى عن المنكر، فإنّهم فئة لا تلهو ولا تلعب كالجبابرة بعد انتصارها، بل يعدون النصر سلّمًا لارتقاء الفرد والجماعة .

ونخلص من ذلك الى أنَّه ينبغي الحفاظ على ترابط المجتمع، بالإمكانيات المشروعة؛ لتحقيق الاستقرار.

ثالثا: تمكين المسلمين من النصر:

قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ، حيث تشير الآية الى أنَّ نصرة الله معدة لمن ينصر دينه، ولا يتصوّر الذي يدافع عن خطّ التوحيد أنّه وحيد في ساحة قتال الحقّ للباطل، ومواجهة جمع كثير من العدو القوي- بل الله معه، لا يخلف وعده .

وفي ذلك قال الطبري: "وليعيننّ الله من يقاتل في سبيله، لتكون كلمته العليا على عدوّه فنصْر الله عبده: معونته إياه، ونصر العبد ربه: جهاده في سبيله، لتكون كلمته العليا، وقوله:" إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " يقول تعالى ذكره: إن الله لقويّ على نصر من جاهد في سبيله من أهل ولايته وطاعته، عزيز في مُلكه، منيع في سلطانه، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب"، والله معين للذين يؤمنون به حق الإيمان، ويتبعون منهجه حق الاتباع، ويتحاكمون إلى منهجه في رضي وتسليم .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ ، أي إن تنصروا دين الله، ينصركم على الكفار، ويفتح لكم ، فالنصر ليس نهاية المعركة بين الحق والضلال، وبين الكفر والإيمان، فللنصر تكاليفه في عدم الزهو به والبطر وفي عدم التراخي بعده والتهاون ، فالآية تبين أنَّ من علامات الإيمان الحقيقي، هو جهاد أعداء الحق ونصرة دين الله ، ونصرة نبيّه، وشريعته وتعليماته ، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْـمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ، وإنّها صريحة وواضحة في غلبة جند الله ، وانتصار جيوش الحقّ على الباطل، وهذا الوعد الإلهي، يقوّي الروح ويبعث فيها الأمل، وهو من الوعود المسلّم بها والسنن القطعيّة ،وقال تعالى:﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ

﴿ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ، أي بالغلبة والقهر في الدنيا والآخرة، إذاً فالوعد الالهي بالنصر لعباده باق وثابت لا يتغير، إذا تم تطبيق شروط السماء.

رابعا: شعور المجتمع الإسلامي بالعزة والثقة بنفسه:

تأتي ثقة المجتمع الإسلامي بنفسه، من ثقته بالنصر والتأييد السماوي، فنصر الله للأمة المؤمنة ماضٍ حتى تقوم القيامة، فعليها أن تثق بوعد الله لها بالتمكين ، وأكدت ذلك الآيات في أكثر من مناسبة بأنَّ النصر حليف المؤمنين، إذ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ، فمن عوامل التمكين، القيادة الحكيمة التي تعمل للإسلام وتمثله عقيدة وأخلاقا؛ لإيجاد المجتمع الذي يلتزمه فكرا وسلوكا، وإيجاد الدولة التي تطبقه شريعة ومنهجا ودستورا وتحمله هادية لإقامة الحق والعدل في العالمين، قيادة تعدّ القاعدة الأساسية التي يقوم عليها الإسلام على مدار التأريخ البشري هي قاعدة "لا إله إلا الله" أي إفراد الله سبحانه في الألوهية والحاكمية، إفراده بها اعتقادا في الضمير، وعبادة في الشعائر، وشريعة في واقع الحياة، قيادة تؤمن بالإسلام قوة أساسية لنهضة المسلمين وإنقاذ العالمين، وتحرير المستضعفين من الطواغيت والظالمين .

ومن عوامل تعزيز الثقة بالاسلام لدى الإنسان ، الالتزام العملي بالدين الإسلامي ، فهذا الدين دين عمل، حيث قال السيد قطب: " فهذا القرآن لا يدرك أسراره قاعد، ولا يعلم مدلولاته إلا إنسان يؤمن به، ويتحرك به في وجه الجاهلية لتحقيق مدلوله ووجهته".

خامسا: الرأفة بالمؤمنين والشدة على الكفار:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ، تبين الآية للناس أنه جاء إليكم رسول من جنسكم، شديد الارتباط بكم، فإنّه يعلم كل آلامكم، ومطلع على مشاكلكم، فهو يتألم لألمكم، فإنّه إذا دعاكم وسار بكم إلى ساحات الجهاد المريرة، فإنّ كل ذلك من أجل حريتكم وشرفكم وعزتكم، وهدايتكم وتطهير مجتمعكم ،وقال تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ

عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

وذهب السعدي الى أنَّ المسلمين جادين ومجتهدين في عداوتهم على الكفار، وساعين في ذلك بغاية جهدهم، فلم يرى المنافقين منهم إلا الغلظة والشدة، فلذلك ذل أعداؤهم لهم، وانكسروا، وقهرهم المسلمون، وفي الوقت نفسه فالمؤمنين متراحمين متعاطفين، كالجسد الواحد، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ،فتبين الآية أنَّ الرسول ﷺ وأصحابه غلاظ، فلا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يتأثّرون بالعواطف في جنبه، وفي الوقت الذي تتميّز الشخصية الايمانية بالحدّة والشدّة ضدّ الأعداء، فإنّها في وجهها الآخر كلّها رحمة و لطف بإخوة المسيرة الواحدة، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ هذا فيما يخص علاقتهم بالناس، وأمّا عن علاقتهم بالله عزوجل، فهي علاقة العبودية و الخضوع المطلق ، حيث يمارسون العبادة في كلّ حركة من حركاتهم، وفي كلّ كلمة ينطقون بها ،وقال تعالى: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ "أي رحماء على المؤمنين غلاظ شداد على الكافرين" .

وقال عطاء: "للمؤمنين كالولد لوالده والعبد لسيده ، وعلى الكافرين كالأسد على فريسته أشداء على الكفار رحماء بينهم" .

المطلب السادس: أثر القوة ونتائجها في الباطل:

إنَّ القوة التي تستعمل في طريق الباطل، لا تجلب لأصحابها سوى المصاعب، والغرق في الشهوات، واقتراف المعاصي، والميل عن جادة الحق، وبالتالي لا تدوم طويلا لابد أن يأتي يوم فتذل وتزول، من قبل جبار السموات والأرض على أيدي عباده المؤمنين، ومن هذه الآثار:

أولا: غرور الانسان بكثرة المال وسوء التصرف فيه:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، أي إنه شديد الحّب للمال والمتاع .

وقال السعدي : "أي كثير الحب للمال، وحبه لذلك، هو الذي أوجب له ترك الحقوق الواجبة عليه، وقدم شهوة نفسه على حق ربّه، وكل هذا لأنه قصر نظره على هذه الدار،

وغفل عن الآخرة" .

"فالمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي ، وارتكاب الفجور فإن اقتحم ما اشتهاه هلك وإن صبر وقع في شدة إذ الصبر مع القدرة أشد وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء " .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ، تتحدث الآية عن قارون، الرجل الثري، من بني إسرائيل، ومن أقارب النبي موسى ﷺ ، فكان في بداية أمره من الثلة المؤمنة، ولكن غروره بالمال وثرواته الكثيرة، التي كان يصعب حمل صناديقها على الرجال الأشداء، فجعلت منه شخصا منحرفا مستكبرا، وعلى الرغم من النصائح التي قدمها له العلماء المؤمنين من قومه، وهي عدم الفرح والغرور بما تملكه من القوة المالية ، وأن الدنيا إنّما هي وسيلة لا هدف ، وأن يكون استعمال المال فيما يرضي الله وينفع العبد في دنياه وآخرته ، وأن ما عندك تستفيد من قسم قليل منه، والباقي لغيرك، وأن تحسن للناس، كما أحسن إليك الخالق بتفضله عليك بنعمه " .

ولكن قارون لم يستمع لنداء قومه، ولم يشعر بنعمة ربه، ولم يخضع لمنهجه القويم، وأعرض عن هذا كله في استكبار لئيم، فما كان من القرآن الكريم إلا أن يعالج مثل هذه النفسية المريضة بالنظر الى الأمم السابقة التي كانت أشد منه قوة و أكثر مالا، والتي أهلكها الله ، ولم ينتظر لسماع تبريراتها .

ثانيا: سوء خاتمة الغرور بقوة النفوذ:

إنَّ حب السلطة والجاه، أمر محبب للنفس الإنسانية، حتى بسببها انتهكت الأعراض وسفكت الدماء، على طول التأريخ، فهذا النوع من عشاق المال والسلطة ، غالبا ما ينتهي بهم الحال إلى نتائج وخيمة ، فمنهم من يفقد مكانته بين الناس، ومنهم من يهلكه الله، وهذا ما ذكره لنا القرآن من قصص الأقوام الماضية، وما هو موجود في حياتنا الواقعية .

قال تعالى: ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ، فتشير الآية الى أنَّ فرعون لما رأى أمر النبي موسى عليه السلام يزيد على الأيام ظهورًا واعتلاءً، فخاف على مملكته، فقام بإظهار الخديعة ،فخطب الناس بعد ما اجتمعوا، فقال لقومه أليس لديَّ القوة والمنعة، وامتلاك القدرة الإقتصادية ، وحسن تنظيم الثروة المائية ، فأبهر قومه المستعبد المستغفل بهذه المشاهد البراقة الخادعة القريبة من عيونهم؛ فتركوا قلوبهم وعقولهم إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد! فعرف كيف يلعب بقلوب وعقول قومهم ويستغفلها بالبريق القريب ، ثم أخذ يستهزأ بالنبي موسى عليه السلام ويقيِّمه بالمعيار المادي بأنه مستضعف وليس ملكًا ولا أمير ولا صاحب سطوة ومال مشهود .

قال تعالى: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ،"أي خص نفسه بافتخارين عظيمين حكومة مصر، وملك النيل ، وذكر لموسى نقطتي ضعف: الفقر ولكنة اللسان، هذا في الوقت الذي لم يكن بموسى أية لكنة في اللسان، لأنّ الله تعالى قد استجاب دعاءه، ورفع عنه عقدة لسانه، لأنّه سأل ربّه عند البعثة" ،كما في قوله تعالى: ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴾ .

فقد جعل فرعون المقام والمال والجاه من المعايير الإنسانية، وهذا الحال ينطبق على عبدة الأصنام في عصر الجاهلية في موقفهم إتجاه النبيّ صلى الله عليه وآله حيث كان يظن هؤلاء إنّ الأشراف الأقوياء والأثرياء طبقة متعالية، والكادحين الفقراء طبقة واطئة، أو الشعب الفلاني أفضل من الاخر، فكأنَّ الامور تقاس بمنظار مادي فقط ، ولم يقف فرعون عند هذا الحد بل جاوزه وادعى الربوبية ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ .

وضرب القرآن لنا مثلا آخر عن غرور قارون ، إذ قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ

مِنَ الْـمُنْتَصِرِينَ ﴾ ، تبين الآيات إن قارون أظهر جميع قدرته في استعراض كبير؛ ليبين لقومه من بني اسرائيل، ما لديه من الثروات، وقد أثار هذا المنظر الحشود، فأصبح الناس طائفتين، ففئة أثارها ذلك الموقف وهم عبدة الدنيا ، فتمنوا لو يحصلوا لحظة واحدة من حياة ذلك المغرور، وأخرى لم يثيرها ذلك المنظر وهم طائفة العلماء الذين وقفوا كالجبال أمام قوة المال والجاه والمصائب، فلم ينزلوا رؤوسهم للأراذل، فهؤلاء هم الذين يستحقون ثواب الله ، وفي الختام أشارت هذه الآيات الى العاقبة الوخيمة للتكبر والغرور في الدارين، وهذا الذي حصل لقارون، حيث خسف الله به وبداره، وغروره في باطن الارض .

فعلى الانسان أن لا يفتنه الجاه والمال في معصية الخالق، بل عليه أن يعتبر ممن سبقوه، فقال تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْـمِهَادُ ﴾ ، فالمقصود من هذه الآية التسلية للمسلمين عما يحصل عليه الكافرين من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات، فإن هذا كله ليس له ثبات ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا ويعذبون عليه طويلا .

فالخطاب وإن كان للرسول ﷺ إلا أنه المراد به عموم المسلمين، فيا أيها الإنسان المؤمن لا يغرك تصرف المشركين، ولا الثروات الهائلة التي يحصلون عليها، فليست سوى متاع قليل، ستكون محطتهم الأخيرة الجحيم ، فالذي يعتمد على قوته، ويتخيل أنه الوحيد الماسك بزمام الامور من دون الله، فهو واهم يسير خلف السراب.

ثالثا: التباهي بالكثرة والعدة:

إنَّ التباهي والغرور بالعدة والعدد، من الفتن التي تصيب الناس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ ، أي كان فرعون ينظر الى أصحاب موسى عليه السلام على أنهم عصابة من الناس قلائل لا يصمدون أمام جنده .

وقال تعالى: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ، فهذا منطق الغني المغرور عديم الإيمان،

الذي يتباهى بامتلاكه القوة البشرية، والمالية، والمكانة الاجتماعية، فاعتمد عليها، ونسى ذكر الله، وأخذ ينكر الاخرة، نتيجة الغرور الذي أصابه، وعدم شكره للنعم الإلهية .

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ ، تشير الآية إلى المنطق الأجوف الذي يتمسّك به المشرك لإثبات أفضليته ولإستغفال العوام حيث يقول، إنّ الله يحبّنا، فقد أعطانا القوّة البشرية والمال الوفير.

وهذا دليل على لطفه سبحانه بحقّنا وإشارة إلى مقامنا عنده ؛ ولذلك لن نعاقب ،لأنه لو أراد عقابنا لما أنعم علينا في الدنيا وجعلنا أغنياء وجعل الاخرين فقراء، فوفرة النعيم في دنيانا دليل واضح على كونه كذلك آخرتنا .

فقد حذر القرآن من الغرور الذي يصيب البشر ، فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ، فعلى الانسان أن يتعظ ويأخذ العبرة من الذين سبقوه ، وأن لا يتبجح بالكثرة، ولا يعتمد على منطق القوة بل يعتمد على المنطق السليم " .

فليست العبرة بكثرة أنصار الباطل بل بصمود أهل الحق والتزامهم له وجهادهم في سبيله"، فالغرور بالكثرة نتيجته الهلاك حتى مع المؤمن ، وهذا ما قصّه لنا القرآن الكريم في الكثير من المواقف أمثال غزوة أحد وحنين وغيرها.

الخاتمة

١- إنَّ القوة المادية بدون غطاء وتوجيه ديني لا تدوم ، بل سرعان ما تزول، وتجلب لأهلها الدمار.

٢- أنْ القوة تستعمل في جلب الخيرات لا المفاسد.

٣- بوجود القوة تتم حماية الدين وتصبح للمسلمين هيبة، وبفقدها تذهب معالم هدايته وتدخل الامة المسلمة في دائرة الخطر، فتصبح محل أطماع الأعداء.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد أبو حامد الغزالي الطوسي ، ت ٥٠٥هـ، الناشر، دار المعرفة- بيروت.

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي ، الناشر، دار عطاءات العلم الرياض - دار ابن حزم بيروت، الطبعة، الأولى - ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م.

٤. الأمالي، الطوسي، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، الطبعة، الأولى- ١٤١٤.

٥. انوار التنزيل واسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي ، (ت ٦٨٥هـ) الناشر، دار احياء التراث العربي ، الطبعة، الأولى - ١٤١٨هـ.

٦. بحار الأنوار، محمد باقر بن محمد تقي(١١١١هـ) ، الناشر، دار إحياء التراث العربي، الطبعة، الثانية، بيروت- ١٤٠٣ هـ.

٧. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت، ١٢٢٤هـ) تحقيق، أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر، الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة ، الطبعة ، ١٤١٩هـ.

٨. البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني(ت ١١٠٧ هـ)، التحقيق، قسم الدراسات الإسلامية، قم، الناشر، مؤسسة البعثة ، الطبعة، الأولى – سنة الطبع، ١٤١٦ هـ – طهران.

٩. البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي (١٤١١هـ)، الناشر، ردمك، الطبعة، ٤-١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥م.

١٠. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١٢٠٥ هـ)، الناشر، دار الفكر- الطبعة، الثانية ، ١٤١٤هـ- بيروت.

١١. تأويل الآيات الظاهرة، السيد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي ، التحقيق، حسين أستاد ولي ، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، الطبعة، الأولى- ١٤٠٩ هـ- قم.

١٢. التبصرة ، جمال الدين بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة، الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

١٣. التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، (ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق، أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر، دار احياء التراث العربي ، الطبعة، الأولى- بيروت .

١٤. تبيين القرآن، السيد محمد الحسيني الشيرازي، الناشر، دار العلوم ، الطبعة، ٢- بيروت – ١٤٢٣هـ.

١٥. التعريفات، الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ، الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة، الاولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .

١٦. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ) الناشر، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة، الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

١٧. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، الناشر، دار الفكر العربي، الطبعة، الأولى- بيروت.

١٨. التفسير المبين محمد جواد مغنية(ت، ١٤٠٠ هـ) ، الناشر، مؤسسة البعثة ، ط،٣ - قم.

١٩. تفسير المنار، محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤)، الناشر، الهيئة المصرية العامة ١٩٩٠م .

٢٠. تفسير الميزان في القرآن الكريم، محمد حسين الطبطبائي ،(ت ١٤٠٢هـ) ، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، الطبعة، الخامسة - ١٤١٧هـ ، قم المقدسة.

٢١. التفسير الميسر، تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٢٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي ، (ت ٢٠١٠م) ، الناشر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة الطبعة، الأولى.

٢٣. تقريب القرآن إلى الأذهان، السيد محمد باقر الشيرازي (معاصر)، الناشر، دار العلوم ، ط،١- ١٤٢٤ هـ- بيروت.

٢٤. تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي تحقيق،، السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة، الثالثة، الناشر، ردمك.

٢٥. التوقيف على مهمات التعاريف ، زين الدين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت ١٠٣١هـ) الناشر، عالم الكتب عبد الخالق ثروت- القاهرة، الطبعة، الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

٢٦. تيسير الكريم الرحمن، آل سعدي، عبدالرحمن السعدي، الناشر، مكتبة النهضة العربيه، الطبعة، الثانية- ١٤٠٨ هـ - بيروت.

٢٧. جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠ هـ) الناشر، دار المعرفة، الطبعة، الأولى- ١٤١٢هـ- بيروت.

٢٨. الجامع لأحكام القرآن ،محمد بن احمد القرطبي(٦٢٧هـ)، الناشر، ناصر خسرو، الطبعة، الأولى- ١٤٠٦هـ- طهران.

٢٩. الجامع لشعب الايمان، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الباب العاشر، محبة الله عز وجل، الراوي، أنس بن مالك ، رقم الحديث،٦٨٧، تحقيق، الدكتور عبد العلي عبد الحميد، الناشر، مكتبة الرشد، الطبعة، الأولى.

٣٠. الجهاد في سبيل الله، الدكتور كامل سلامة الدقن ، الناشر، دار القبلة – السعودية، الطبعة ، الثانية.

٣١. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، (ت ٨٧٥ هـ) تحقيق، الشيخ محمد علي معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة، الأولى – ١٤١٨ هـ.

٣٢. جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري (ت ١٢٦٦هـ) ، تحقيق، الشيخ عباس القوچاني، الناشر، دار الكتب الاسلامية ، الطبعة السابعة.

٣٣. الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين ، السيد عبد الله شبر، التحقيق، السيد محمد بحر العلوم، الناشر، مكتبة الألفين، الطبعة، الأولى – ١٤٠٧ هـ- الكويت.

٣٤. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة ، الأولى ١٣٤٤ هـ.

٣٥. صحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي.

٣٦. صفوة التفاسير تفسير للقرآن الكريم ، محمد علي الصابوني ، الناشر، دار الفكر، الطبعة، الأولى- ١٤٢١ هـ- بيروت .

٣٧. عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦ هـ) تحقيق، محمد باسل عيون السود ، الناشر، دار الكتب العلمية ، الطبعة، الأولى- سنة الطبع ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٣٨. عناصر القوة في الاسلام، السيد سابق، الناشر، وهبة.

٣٩. عوالي اللآلي، ابن أبي جمهور الأحسائي، ت(٨٨٠هـ)، تحقيق ، شهاب الدين النجفي و آقا مجتبى العراقي، الناشر، انتشارات سيد الشهداء،قم، الطبعة، الاولى.

٤٠. غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام ، السيد هاشم البحراني الموسوي، تحقيق العلامة السيد علي عاشور، الناشر، ردمك.

٤١. الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية ، نعمة الله بن محمود النخجواني(٩٢٠هـ)، الناشر، دار ركابي ، الطبعة، الأولى- ١٤١٩هـ- مصر.

٤٢. في ظلال القرآن ، سيد قطب، الناشر، دار الشروق.

٤٣. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق، التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف، محمد نعيم العرقسُوسي الناشر، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة، الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٤. الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني ، (ت٣٢٨هـ)، الناشر، دار الكتب الإسلامية ، ط، ٤- ١٤٠٧هـ ، طهران.

٤٥. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي النيشابوري ، (ت ٤٢٧ هـ) ،التحقيق، أبو محمد بن عاشور ،الناشر، دار إحياء التراث العربي ،الطبعة، الأولى - ١٤٢٢ هـ- بيروت.

٤٦. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق، عدنان درويش - محمد المصري ، الناشر، مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد علاء الدين البغدادي ، التحقيق، محمد على شاهين، الناشر، دار الكتب العلمية، الطبعة، الأولى، ١٤١٥هـ بيروت.

٤٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور(٧١١هـ)، الناشر ، دار صادر – بيروت، الطبعة، الأولى.

٤٩. ما يقال عن الاسلام، عباس محمود العقاد، الناشر، مكتبة دار العروبة، القاهرة.

٥٠. ماذا يعني انتمائي للإسلام، فتحي يكن، الناشر، مؤسسة الرسالة، الطبعة، الخامسة عشرة– ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨– بيروت.

٥١. مجمع البيان ، الطبرسي، ٩/ ٢٦١، التفسير الكبير ،محمد بن عمر الفخر الرازي ، (ت،٦٠هـ) ، الناشر، دار احياء التراث العربي ، ط،٣–١٤٢٠هـ.

٥٢. مجمع الزوائد وَمَنْبَعُ الفَوَائِدِ، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، (ت٨٠٧هـ)، تحقيق، حسين سليم أسد الدّاراني ، الناشر، دَارُ المَأْمُون لِلتُّرَاثِ.

٥٣. مختار الصحاح، زين الدين الرازي ،ت (٦٦٦هـ) ، تحقيق، يوسف الشيخ محمد ، الناشر، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا ، الطبعة ،الخامسة ، سنة الطبع ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، تحقيق، محمد حامد الفقي، الناشر، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ / ١٩٧٣.

٥٥. مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، (ت ١٣٢٠هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

٥٦. مصباح الهداية في إثبات الولاية، آية الله العظمى السيد علي بن محمد بن علي البهبهاني، الناشر، مدرسة دار العلم بأهواز، الطبعة، الرابعة، ١٤١٨ هـ ، قم.

٥٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار) مادة بطش ، الناشر، دار الدعوة.

٥٨. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، (ت ٥٠٢هـ)، تحيق، صفوان عدنان الداودي ، الناشر، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ، الطبعة، – ١٤١٢هـ

٥٩. مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق، عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر ، اتحاد الكتاب العرب ،الطبعة، الثانية ، ١٤٢٣ هـ= ٢٠٠٢م .

٦٠. من هدى القرآن، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر، دار محبي الحسين، الطبعة، الأولى– ١٤١٩هـ– طهران .

٦١. مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري

٦٢. الموسوعة القرآنية، إبراهيم الأبياري (ت ١٤١٤هـ) ، الناشر، مؤسسة سجل العرب ، الطبعة، الأولى– ١٤٠٥هـ– القاهرة.

٦٣. ميزان الحكمة، محمد الري شهري، تحقيق ونشر، دار الحديث، الطبعة، الأولى، ١٤١٦ هـ.

٦٤. نهج البيان عن كشف معانى القرآن، محمد بن الحسن الشيباني، التحقيق، حسين دركاهي ، الناشر، مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة، الأولى١٤١٣ هـ طهران.

٦٥. وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي(١١٠٤هـ)، تحقيق، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الناشر، ردمك الطبعة، الثانية – ١٤١٤هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم
شرح وافي لكتاب الصلاة من صحيح البخاري